

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الأفواج: الأول و الثاني

الجزء الثاني



1-الدرس الأول: مدخل إلى علم الأصوات.

2-الدرس الثاني: أقسام علم الأصوات 1 phonétique

3-الدرس الثالث: أقسام علم الأصوات 2 Phonologie

4-الدراسة الصوتية لدى علماء العربية.

5-الدراسة الصوتية لدى اللغويين في المعاجم: الخليل، والأزهري.

6-الدراسة الصوتية لدى علماء القراءات.

7-الدراسة الصوتية لدى النحاة ابن جني.

8-علم الأصوات لدى ابن سينا.

بسط و مقارنة و تحليل.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات إعداد و تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث المستوى: سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس الخامس (5) : الدراسة الصوتية لدى اللغويين في المعاجم.

أولاً: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ثانياً: أبو منصور الأزهري.

خطة الدرس و بناؤه المعرفي:

1- بسط مفهوم المعجم.

2- طريقة البحث في المعاجم.

3- معجم العين بوصفه أول دراسة صوتية لدى قدماء العربية.

4- طريقة ترتيب مادة المعجم.

عرض و تحليل.

1- بسط مفهوم المعجم: ترجع كلمة (معجم) إلى قولنا: أعجم الكتاب و عجمه: نقطه، و

أعجمت الكتاب: أزلت استعجامة، و الأعجم: هو الذي لا يفصح و لا يبين كلامه و إن كان

عربي النسب.

و حروف المعجم هي الحروف الهجائية، و من هنا سمي الكتاب الذي يجمع مفردات اللغة بترتيب معين، مبينا معناها و استخداماتها المختلفة معجما إما لأنه مرتب على حروف المعجم، و إما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه. فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض و إبهام. و لفظ معجم اسم مفعول من الفعل أعجم، و يحتمل من ناحية أخرى أن يكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، و يكون معناه الإعجام أو إزالة العجمة و الغموض¹.

" و يطلق مصطلح " معجم " على الكتاب الذي يتناول بترتيب معين مفردات اللغة: معانيها و أصولها و اشتقاقاتها، و طريقة نطقها، كما يطلق على المرجع المتخصص الذي يحوي المصطلحات و التعبيرات و التراكيب التي تدور في فن بعينه أو تخصص بذاته، أو مجال محدد².

من هنا نستنتج أن المعجم وعاء اللغة، و قد اهتم العرب بجمع لغتهم، و تصنيفها، و وضعها في معجمات كثيرة، متنوعة في ترتيبها و منهجها، و يدور المعجم حول الكلمة إيضاحا و شرحا ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي. و أعجم في اللغة بمعنى أزال الإبهام.

كما يقصد بالمعجم تلك الكتب اللغوية التي حفظت لنا كلام العرب. و لاشك أن أول معجم منهجي وصل إلينا هو " العين " للخليلي بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ). و توالى بعده التأليف المعجمية و بمناهج متعددة.

2- طريقة البحث في المعاجم:

قد يتوقف الدارس أو الكاتب أمام كلمة يشك في معناها أو اشتقاقها أو دلالتها، و هنا لابد من أن يرجع إلى معجم من المعاجم، حتى تكون كتابته و مختلف نصوصه صحيحة و سليمة، و عند إرادة الكشف عن معنى أو مدلول كلمة في معجم لابد من اتباع الخطوات الآتية:

2-1- العودة إلى المفرد إذا كانت الكلمة مثنى أو جمعا.

2-2- الإتيان بالماضي إذا كانت فعلا مضارعًا، أو أمرًا أو مصدرًا أو مشتقًا.

1

2

2-3- تجريد الكلمة (اللفظة أو الدال) من حروف الزيادة إذا كانت مزيدة.

2-4- رد ما حذف منها إذا كان قد حذف منها شيء.

2-5- رد حرف العلة في الأجوف (معتل العين)، أو الناقص (معتل اللام) إلى أصله (الواو أو الياء).

2-6- فك تضعيف الفعل إذا كان مضاعفا.

3- معجم " العين " بوصفه أول دراسة صوتية:

في مجال دراسات علم الأصوات العام، أي ما يتصل بإنتاج الصوت و أعضاء النطق به، و تصنيف الأصوات " كان أول من تناول أصوات اللغة العربية بالدراسة و الوصف، و تحديد المخارج و الصفات، اللغوي العبقرى الخليل بن أحمد الفراهيدى، الذي عرف عنه أيضا الاهتمام بأصول النغم و الموسيقى و الإيقاع، و أنه أول مبتكر لعلم العروض، و أنه استنبط من العروض و من علل النحو ما لم يستخرجه أحد، و لم يسبق إلى مثله سابق " ³.

و على أساس مخارج الحروف و ترتيبها من الحلق إلى الفم، رتب الخليل المعجم الذي ينسب إليه، و هو معجم " العين " الذي استهله بكتاب " العين ".

و يمكن على سبيل المقاربة المفهومية و اللسانية اختزال هذه الآراء و الملاحظات الصوتية في الآتي:

1- من أحسن و أطرف ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده لدى الخليل بن أحمد من وصف الجهاز الصوتي، و هو الحلق و الفم و الشفتين، و تقسيمه إياه إلى مناطق و مدارج يختص كل حرف منها بحرف أو مجموعة حروف، و ما أشار إليه الخليل أيضا من " ذوق الحروف " لبيان حقيقة المخرج، فقد اهتدى بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة، أقر كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون، و كذلك قوله في الحركات، إنها أبعاض حروف المد، و اختراعه علامات الضبط التي لا تزال نستعملها حتى اليوم من فتحة و ضمة و كسرة.

2- لقد سار الخليل في معجمه هذا " العين " على الترتيب الصوتي، و الحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي للدراسات الصوتية في اللغة العربية، فلقد نجح علماء العربية بعد الخليل نجاحا يستحق الشناء والإكبار. و ما أن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي حتى أخذته عنه تلميذه سيبويه (ت 180 هـ)، و أدخل على هذا الترتيب تطورا و تبديلا، و من هنا خالف سيبويه أستاذه في كثير من جزئيات هذا الترتيب و أدخل عليه تطورا و تعديلا.

شرح و تعليل هذا الترتيب:

إن ترتيب الحروف قديماً كان يسير على الأبجدية الفينيقية، بالإضافة لحروف الروادف: أبجد، هوز، حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

ثم دعت الحاجة إلى الإعجام، لأن الحروف لم تكن معجمة (أي منطوقة نقطاً يميز بعضها عن بعض. كنقطة الجيم التي تميزها من الحاء المهملة، و نقطة الذال التي تميزها من الدال المهملة).

فطلب الحجاج من نصر بن عاصم الليثي أن يقوم بهذه المهمة مع زميله يحيى بن يعمر العدواني، تلميذي أبي الأسود الدؤلي، فرتبا الحروف الهجائية الترتيب العادي: أ ب ت ث ج ح، حيث جمعت الحروف المتشابهة. و لقد تأخر انتشار ترتيب نصر بن عاصم الليثي و زميله، و لم يكتب له الذبوع و الانتشار إلا في أواخر القرن الثاني الهجري، و ظل الأمر على هذا الترتيب إلى أن جاء الخليل بن أحمد و رتب الحروف بحسب مخارجها، حين شرع في عمل معجم " العين "، و بدأ بحروف الحلق، ثم الحنك، ثم الأسنان، ثم الشفتين، و لم يجعل الهمزة أولاً، و إنما جعلها في آخر حروف الهجاء، حيث جاء الترتيب الصوتي على النحو الآتي:

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ا ي ، ثم الهمزة.

ينظر: كتاب العين ج 1 ص 48، تحفي مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي. دار الرشيد 1980.

و لقد خالف سيبويه الخليل فكان ترتيبه على النحو الآتي:

الهمزة (أ) و الألف و الهاء و العين و الحاء و الغين و الخاء و الكاف و القاف و الضاد و الجيم و الشين و الباء و اللام و الراء و النون و الطاء و الدال و التاء و الصاد و الزاي و السين و الظاء و الذال و التاء و الفاء و الياء و الميم و الواو.

ينظر: الكتاب سيبويه ج 4 ص 431، تحقيق عبد السلام هارون.

و عدد حروف الهجاء عند الخليل و سيبويه 29 حرفاً.

3-و من أهم ما خالف فيه (سيويه) كما رأينا هو موقفه من الهمزة، حيث جعلها أول الأصوات العربية و أبعدها مخرجا.

و سيويه بصنيعه هذا، يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة (A) هي أول الأصوات العربية مخرجا. فهي من فتحة المزمار، و الوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز و لا بعدمه.⁴

4-و من مدرسة المخارج الصوتية و نظام التقاليد، مثلها كل من:

4-1- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

4-2- البارع، لأبي علي القالي.

4-3- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري.

4-4- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد.

4-5- المحكم و المحيط الأعظم، لابن سيده الأندلسي.

و بهذه المدرسة، وضع الباحثون معجم " العين على رأس مدرسة المخارج الصوتية و التقليبات، و قد سماه باسم الحرف الذي بدأه به، إذ لم يرتبه على حروف الهجاء، بل قدم الحروف الحلقية، و لم يبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها لا تكون في بداية كلمة إلا زائدة أو مبدلة، و لا بالهاء لأنها مهموسة خفية، ثم نزل إلى العين و الحاء فوجد أن أولهما أنصعهما فبدأ به معجمه.

5-لقد سجل الخليل -في البداية- كل المواد اللغوية التي فيها حرف العين، ثم باب الحاء و رصد فيه المواد التي فيها حرف الحاء مما تخلو من العين. و بهذا كان ترتيب الخليل في معجمه يسير كما يلي:

5-1- خمسة أحرف حلقية: ع/ح/ه/خ/غ.

5-2- حرفان لهويان: ق/ك.

5-3- ثلاثة أحرف شجرية: (شجرية الفم: جوف الفم بين سقف الحنك و اللسان) ج/ش/ض.

5-4- ثلاثة أحرف أسلية: (أسلية) (أسلة اللسان: مستدق طرفه) ض/س/ز.

5-5- ثلاثة أحرف نطعية: (النتع: ظهر الغار الأعلى، و هو موضع اللسان من الحنك) ط/د/ت.

5-6- ثلاثة أحرف لثوية: (اللثة: ما حول الأسنان من اللحم) ظ/ذ/ث.

5-7- ثلاثة أحرف ذلقية: (ذلق اللسان: طرفه) ر/ل/ن.

5-8- ثلاثة أحرف شفوية: ف/ب/م.

5-9- أربعة أحرف هوائية: و/ا/ي/همزة (أ).⁵

" هكذا نجد الخليل بن أحمد، قد وضع هيكل هذا المعجم، و رسم منهجه و نظامه، و أن ما جاء فيه مما أنكره هؤلاء العلماء، إنما أقحم في ثناياه بعد الخليل. لقد رأى الخليل، أن الترتيب المؤلف لحروف الهجاء العربية، و هي: أ ب ت ث ج ح خ ... إلخ إنما استمده النساخ و الكتبة من الترتيب السامي القديم الذي اشتهر عند الأمم السامية القديمة، كالفينيقيين و العبريين، و هو ترتيب، أبجد هوز حطي كلمن... إلخ⁶ و أن النساخ قد وضعوا الرموز المتشابهة الصورة، بعضها بجوار بعض، و من هنا جاء الترتيب الهجائي المؤلف لنا.

كما وجد الخليل أن هذا الترتيب الهجائي المؤلف، ليس قائما على أساس علمي، فأثر أن يختار ترتيبا آخر، أساسه مخارج الأصوات (الحروف) و رتب معجمه " العين " على ذلك، فبدأ بأصوات الحلق، و جعلها أقساما، ثم أصوات أقصى الفم، ثم أصوات أوسط الفم، ثم أدنى الفم، ثم الشفتين. فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية على النحو الذي ذكرناه سابقا، و لا مانع من إعادة رسمه و توصيفه: [ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي].⁷

5

6

7

و لقد كان الخليل أسبق من ذاق الحروف، ليعترف مخارجها، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر:
" إنما كان ذواقة إياها، أنه كان يفتح فاه (فمه) بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو: أب، أث، أح، أع،
أغ... فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب "8.

و أخيراً، مع تسليم الخليل بهذا الترتيب الصوتي، فإنه يصر و ينص صراحة على أنه لم يبدأ بالهمزة
لأنها، يلحقها النقص و التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، و لا في اسم
و لا فعل إلا زائدة أو مبدلة، و لا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها.
قال الخليل: " فنزلت إلى الحيز الثاني، و في العين و الحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به
ليكون أحسن في التأليف "9.

4- طريقة البحث في معجم " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي:

لقد سبق بالذكر أن الباحثين العرب، وضعوا معجم " العين " على رأس مدرسة المخارج الصوتية و
التقليبات، و قد سماه الخليل باسم الحرف الذي بدأه به.
و قد ظن الخليل أنه استوعب كلام العرب فقال: " بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين و هو أمضى الحروف
و نمضي إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح و الغريب "10.

إلا أنه أي الخليل بن أحمد، لم يسلم من قدح (نقد) من تلاه، و قد رموه بالتصحييف و الاستشهاد
بالمردول من أشعار المحدثين، و إهمال أبنية مستعملة في اللسان، و أخطاء صرفية و اشتقاقية، و
انفراده بكثير من الألفاظ غير المسموعة، و عدم استيفاء صيغ بعض المواد و لا معانيها المتعددة، و
أما من مدحه (جامله) فقد أشاد به للريادة في التأليف المعجمي، و باختراع الطريق الأمثل لحصر
كلام العرب و بيان المهمل و المستعمل منه. فمعجم " العين " يصنف ضمن المعجمات الأجدية، و
أول من ألف فيها هو الخليل بن أحمد، و قد اتبع فيه، الألفاظ بحسب مخارج الحروف و التقليبات
الصوتية، مبتدئاً بإدخال الحروف في المخرج، و بدأ بحروف الحلق مرتبة على مسار الجهاز النطقي إلى

8

9

10

أن وصل إلى الشفتين، و قد سمي معجمه هذا كما مر بنا، " العين " لأنه بدأ بهذا الحرف، و اتبع طريقة ترتيب الحروف على المخارج على النحو الآتي: ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ص / ص س ز / ط د ث / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / ا و ي.

و إذا كان كتاب " العين " يمثل (ما قبل تاريخ المعجم العربي) فإن التاريخ الحقيقي لصناعة المعجم Lexicologie ينطلق من معجم ابن دريد (ت 321 هـ) الموسوم بـ: " الجمهرة " و قد اعتمد فيه على ما جاء في معجم " العين " و ما وصله من المجاميع اللغوية للأصمعي و أبي عبيدة عمر بن المثني و غيرهما، بالإضافة إلى ما حفظه هو من الأشعار و الأراجيز، و ما سمعه مشافهة من الأعراب. و بما أن حرف " العين: ع " من الحروف الحلقيّة بها صدر المخرج الصوتي، كان لا بد من تسمية المعجم بهذه التسمية الموضوعاتية *Thématique*، و مثلما رتب الخليل المادة اللغوية على حسب مخارج الحروف فقد احتل هذا الحرف (ع) الصدارة في حروف الحلق.

و نلاحظ هنا أن الخليل قد قدم (العين: ع) على الحاء و الهاء و ما لاحظته من تغير الهمزة و الألف، فلم يبدأ بأي منها، و إنما بدأ بحرف العين، لأنه الصوت الحلقي الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية، و قد سمي معجمه باسم أول قسم فيه من كتاب " العين " ثم تلاه ببقية أصوات الحلق، متدرجا من أعلى إلى أسفل، فذكر باقي الحروف حتى الحروف اللغوية، و ختم ترتيبه بأصوات العلة و الهمزة *Les voyelles* و هذا هو الأساس الأول للترتيب الخارجي.

أما الأساس الثاني، و هو - طبعا - خاص بالترتيب الداخلي، ينقسم:

الأول: يتم فيه ترتيب الكلمات على أساس الحروف الأصول فقط، دون الحروف الزوائد، و قد ظل هذا المبدأ الذي وضعه الخليل في كتاب " العين " الأساس الذي بنيت عليه معظم المعاجم العربية.

الثاني: ترتيب الكلمات الداخلة تحت مادة واحدة على أساس الأبنية الصرفية، فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي (الصحيح و المعتل و اللفيف) ثم الرباعي و الخماسي، و التزم هذا المبدأ كذلك، عدد من المعاجم العربية التي سارت على معجم الخليل بن أحمد، مثل: " تهذيب اللغة " لأبي منصور الأزهري

(ت 376 هـ) و " المحيط " للصاحب بن عماد (ت 386 هـ)، و " البارع " لأبي علي القالي (ت 356 هـ).

أما الأساس الثالث، فهو طريقة التقلبيات، إذا تتبع هذه الطريقة في الفعل الشائي، مثل: ع د / دع ، أما الثلاثي ففيه ستة تقلبيات، مثل: ك ت ب / ك ب ت / ت ك ب / ت ب ك / ب ك ت / ب ت ك .

أما الرباعي، فقد عدد الخليل التقلبيات فيه أربعة و عشرين (24) وجها، و في الخماسي تبلغ التقلبيات إلى مائة و خمسة و عشرين (125) و جها و هكذا.

و بديهي أن هذه التقلبيات، لا يوجد لها في اللغة العربية أمثلة، إذ إنها ليست كلها مستعملة عند العرب. و لذلك أطلق الخليل على الصيغ التي وجدها فعلا مصطلحا عليه بـ " المستعمل " و على الصيغ غير المستعملة (غير الموجودة) و لكنها ممكنة نظريا. و أما المهمل فيلاحظ الخليل أنه يصدر حديث عن كل مادة بيان ما استعمل من تصاريفها، و ما أهمل مثل باب العين و الهاء و الجيم معهما، مثل:

عهج/هجع، مستعملان: جهج/عجه، هعج/جهج، مهملات، و قد حرص على ذلك دائما، منبها على المستعمل و المهمل، ثم يبدأ في شرح التصريفات المستعملة، الأول فالثاني فالثالث... إلخ.

- يضم كل حرف جميع الكلمات التي ورد فيها الحرف في أي موضع فيها، فإذا انتقل إلى حرف آخر استبعد الكلمات التي فيها الحرف المتقدم، و معنى ذلك أنه بدأ كتابه بحرف (العين - ع)، فذكر جميع الكلمات التي تتضمن حرف (العين) في أي موضع منها، و حين انتقل إلى حرف (الحاء - ح) ذكر جميع الكلمات التي تتضمن هذه الحروف، لكنه استبعد الكلمات التي فيها (عين - ع)، لأنه قد تقدم ذكرها في حرف (العين - ع) المتقدم و هكذا.

و هذه هي طريقة البحث في معجم العين للخليل، باعتبارها تنهض على ترتيب المادة اللغوية ترتيبا صوتيا Phonétique.

ثانيا: أبو منصور الأزهري (ت 376هـ) في معجمه الموسوم: (تهذيب اللغة).

- 1- "لقد كان الأزهري يهدف من وراء معجمه إلى تهذيب اللغة، مما أصابها من التصحيف والخطأ، وتدوين ما ثبت وصحّ، إمّا سمعاً، أو رواية عن ثقة، أو نقلا عن خط عالم يثق بعلمه".¹¹ لقد أكدنا في مثالي هذا النظريات اللغويّة في الصوتيات " أنّ تهذيب اللغة للأزهريّ يعد من أقطاب مدرسة المخارج الصوتية والتقاليب، ومن أبرزها:
 - 1.1- العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي.
 - 2.1- البارع: لأبي علي القالي.
 - 3.1- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري الذي نحن بصدد الحديث عنه..."¹²
 - 4.1- المحيط في اللغة: للصاحب ابن عبّاد.
 - 5.1- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده الأندلسي.

وإلى جانب ما ذكرناه، عن بعض النظريات الفونولوجيّة عند كل من الخليل ابن أحمد وسيباويه، نجد لغويّاً آخر فذا يخلق في آفاق أرحب في مجال علم المعاجم بعامة والأصوات اللغوية بخاصة. هو أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر، الهروي، اللغوي المعروف بالأزهري نسبة إلى جده، ولد في هارة، وتلقى العلم على يد العَلَمَيْنِ نَفْطُوِيَه وابن السَّرَاج وغيرهما. وكان الأزهري، قد برع في الفقه، والحديث واللغة، والنحو والتفسير، وله - إضافة إلى كتاب تهذيب اللغة - (غريب الألفاظ في الفقه) و(التقريب في التفسير) و(علل القراءات) و(تفسير السَّبْع الطوال) و(معاني شواهد غريب الحديث).

2- منهج الأزهري في تهذيب اللغة:

لقد سار الأزهري على منهج الخليل ابن أحمد في (العين)، "مع بعض الاختلافات القليلة المتعلقة بعدد الأبنية وبالنقل عن علماء اللغة، وكثرة الروايات"¹³. ويتسم (تهذيب اللغة) بما يلي:

- 1.2- النقل عن علماء اللغة، وإيراد ما سمعه من البدوي والذين عايشهم.

11
12
13

- 2.2- كثرة الشواهد القرآنية والحديثية، والعناية بالقراءات القرآنية.
- 3.2- إيراد كثير من الأقوال، والأمثال، والحكم والنوادر.
- 4.2- التكرار الذي يرجع إلى كثرة الروايات والأقوال والشواهد.
- 5.2- الطعن في كثير من اللغويين، والتقليل من شأنهم، وتسفيه أحلامهم¹⁴.
- 6.2- صعوبة الإفادة من المعجم، وهو سمة من سمات معاجم التقليليات.

إنَّ اهتمام العرب بكتابهم المقدّس القرآن الكريم، قد دفعهم إلى وصف لغتهم وصفا دقيقا، لا سيما من الناحية الصوتية. وقد صنّف الأزهريّ الأصوات العربية في معجمه حسب موضع النطق، كما اختار ترتيب الحروف على أساس مخارجها، مقتفيا بذلك آثار أستاذه الخليل ابن أحمد الفراهيدي في معجمه " العين ". ولا شك أنّ في كتب الفقه وفي مقدمات معظم المعاجم العربية معلومات قيّمة عن أصوات اللغة العربية، وإن أكثرها تردادا لكلام الخليل أو لكلام سيبويه أو لكليهما معا.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات إعداد و تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث المستوى: سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس السادس (6): الدراسة الصوتية لدى علماء القراءات

لقد شاعت آثار الدراسة الصوتية التي نظّر لها الخليل ابن أحمد، ومن بعده تلميذه سيويوه، ثمّ الأزهري، ثمّ ابن جني في القرن الرابع الهجريّ في نواح مختلفة من الدراسات العربية. " لقد نظم أصحاب الأداء القرآني قواعد ودراسات استلهموها من دراسات الخليل ابن أحمد وتلاميذه، ومن دراسات الكوفيين، وألفوا كثيرا من الكتب في علم أصوات اللغة، منها المطول، و منها المختصر، ومنها التعليمي الذي يعنى بتدريب القراء والحفاظ لكتاب الله تعالى".¹⁵

لقد أبان أصحاب الأداء القرآني عن مقدرات خلاقة، كيف يُؤدون تلاوة القرآن الكريم أداء صحيحا لا عوج فيه ولا انحراف، ولم يزيدوا على أصول قواعد الأصوات شيئا، وإتّما زادوا في التفاصيل. " وقد أضاف علماء القراءات (فنّ التجويد) منذ القرون الهجرية الأولى جهودا علمية مبتكرة، وزيادات وتفصيلات كثيرة، عن الأصوات اللغوية لدى اللغويين والمعجميين، واحكاما تطبيقية في كتبهم الخاصة، مما كان له الأثر البين في الحفاظ على سلامة اللغة، وبعدها عن الانحراف في النطق، وقد سعوا إلى وصف " تلاوة القرآن " حسب القراءات القرآنية المختلفة؛ فسجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزا كتابية تمثل هاته الخصائص".¹⁶

15

16

ورغم كثرة كتب القراءات في العصور المتأخرة، وعلاجها المسهب للقراءات السبع والعشر وغيرها، "نرى أنّها حين تعرض لأصوات اللغة، تكتفي بوضع صفحات، تصف فيها مخارج الحروف وصفاتها، في صورة مقتضبة مختصرة، لا تخلو من الغموض أو التحريف في بعض الأحيان، كما أنّ عناية أصحابها قد وجهت كلها إلى رواية القراءات وسندها، معتمدين على تلقين القراءات وضبطها، عن طريق التلقي الشفوي، جيلاً بعد جيل، حتى انتهى الأمر إلى بضعة متون صغيرة، سميت (بعلم التجويد) يحفظها الطالب عن ظهر قلب، دون فهم لها في غالب الأحيان. وقد التزمت هذه المتون في غالب أحوالها، نصوص سيويه، وعباراته في شرح أصوات اللغة ووصفها".¹⁷

وما يؤكد هذه الأدبيات والمقولات في مصطلح القراءات القرآنية وعلاقته بعلم الأصوات، يستلزم بداية في تحديد ماهية كل من الترتيل والتجويد ومراتب الترتيل وعلاقتها المفصلية بالأصوات اللغوية.

1- الترتيل:

الترتيل لغة : مصدر قولهم: رتل فلان كلامه، فهو مأخوذ من الرتل، أي حسن تناسق الشيء. " يقال : كلام رتل و رتل أي مرتل حسن على توءدة و رتل الكلام: أحسن تأليفه و أبانه و تمهل فيه. و الترتيل لدى علماء القراءات: هو الترسل فيها من غير بغي "¹⁸. و في التنزيل قوله تعالى: " و رتل القرآن ترتيلاً " (المزمل 4) قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: " المعنى: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن و تدبره، و كذلك كان يقرأ صلوات الله عليه و سلامه " ¹⁹.

و قد نقل ابن جرير الطبري (ت 310 هـ) بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن المعنى: بينه بيانا " ²⁰.

و البيان يشمل الألفاظ و المعاني، أما الألفاظ فبالتجويد، و أما المعاني فبالوقف الصحيح.

أما الترتيل في الاصطلاح فيرد هو الآخر بمفاهيم متعددة:

17

18

19

20

1-الترتيل: " هو تجويد الحروف و معرفة الوقوف " ²¹.

و قد نقل ابن الجزري (ت 833 هـ) هذا التعريف على الإمام علي رضي الله عنه.

2-الترتيل: " هو تلاوة القرآن الكريم تلاوة تبين حروفها، و يتأني في أدائها، ليكون ذلك أدعى إلى فهم المعاني " ²².

3-الترتيل: هو القراءة بتوعدة و اطمئنان، و إخراج كل حرف من مخرجه، و إعطائه حقه و مستحقه، مع تدبر المعاني " ²³.

و هذا التعريف أقرب ما يكون إلى علم الأصوات اللغوية، و خاصة لدى الخليل و سيبويه و ابن جني.

من هنا سنتج أن المراد بهذه المصطلحات القرائية و الأدائية في تجويد القرآن الكريم و ترتيله.

ف: مستحق الحرف: ما يعرض له في التركيب، مثل:

الإخفاء و الإدغام و غيرهما، أي عندما يجاوره غيره من الحروف في كلمة أو كلمات متجاورة.

أما حق الحرف (صوتيا) فهو ما يستحقه من الصفات اللازمة له، مثل: الجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة.

و تشير عبارة " فهم القرآن " في التعريف الثاني، و عبارة " تدبر المعاني " في التعريف الثالث إلى ضرورة مراعاة حسن الوقف و الابتداء حتى لا يختل المعنى أو يعتريه الغموض. و بهذا تلتقي كل التعريفات و المفاهيم في موضوع واحد هو : أن الترتيل يشمل التجويد كما يشمل الوقف. و في هذا السياق يرى المحققون من العلماء أن الترتيل يشمل مراتب التلاوة كلها من تحقيق و حدر و تدوير، قول العلامة ابن الجزري رحمه الله : " إن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق و بالحدر و بالتدوير مرتلا مجودا بلحون العرب و أصواتها " ²⁴.

21
22
23
24

شرح و تعليل مصطلحات التحقيق و الحدر و التدوير:

-المراد بالحدر هو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد من إظهار و إدغام و قصر و مد و وقف، و هذه ولاشك من أول مصطلحات علم الأصوات و علم القراءات.

-و أما المراد بالتحقيق هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد و تحقيق الهمزة و إتمام الحركات و اعتماد الإظهار و التشديدات، و توفية الغنات، و تفكيك الحروف أي بيانها و إخراج بعضها من بعض بالسكت و الترسل و التوعدة وملاحظة الجائز من الوقوف²⁵.

-في حين، أن التدوير في اصطلاح علم القراءات، هو عبارة عن التوسط بين الحدر و الترتيل، و هو الذي ورد عن أكثر الأئمة.

1-ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ص 205/1.

2-التجويد:

التجويد في اللغة، مصدر جود الشيء، أي: صيره جيداً، و الجيد ضد الرديء²⁶.

و إذا أضفنا التجويد إلى القرآن الكريم، كان معنى ذلك - لغوياً - الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ، برئية من الرداءة في النطق²⁷.

أما في الاصطلاح العلمي، فيعني: تلاوة القرآن الكريم بإعطاء كل حرف حقه من مخرجه و صفته²⁸ اللازمة له من جهر و همس، وشدة و رخاوة، و نحوها. و هذه المصطلحات من مفردات الدرس الصوتي، ورد الحرف إلى مخرجه و أصله، و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه و تلطيف النطق به على حال صيغته و كمال هيئته من غير إسراف و لا تعسف و لا إفراط و لا تكلف²⁹.

من أبرز موضوعات التجويد:

تناول علم التجويد أو فن الأداء القرآني أو علم القراءات أو علم أصوات القرآن الكريم، ثلاثة موضوعات أساسية هي:

2-1-مخارج الأصوات (الحروف) العربية، و هي: المواضيع التي تتولد فيها هذه الأصوات، و يتحدد فيها أهم ملامحها الفارقة³⁰.

2-2-صفات الأصوات العربية، مفردة، مثل: الجهر و همس، و الشدة ز الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح، و نحو ذلك.

3-3-صفات الأصوات العربية، مركبة، مثل: الإدغام و الإخفاء، و الترقيق و التفخيم...إلخ. و للإشارة، فإن درس الإدغام بوصفه من الأصوات المركبة في علم القراءات القرآنية، سيكون مدار درس و متابعة علمية، بعد درس، الدراسة الصوتية لدى علماء القراءات.

26
27
28
29
30

أمثلة تطبيقية:

إن الحد الفاصل بين كل وحدة و أخرى، هو دور الصوت في اختلاف المعنى فاللام في اللغة العربية وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها من تغليظ في مثل " والله " أو ترقيق في مثل " بالله ". و ذلك لأن المعنى لا يختلف في حالة التفخيم عنه في حالة الترقيق.

و " النون " وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها، بأن كانت متحركة في مثل: نطق، أو ساكنة خفيفة في مثل: ينطق، أو مدغمة مع الغنة في مثل: من يفعل. و ذلك لأن المعنى لا يختلف. فالحد الفاصل بين الوحدتين الصوتيتين أو الفونمين هو اختلاف المعنى في الكلمتين مع اختلاف الصوتين.

و من الأمثلة النموذجية كذلك، " من مجالات البحث في علم الأصوات الخاص أيضا أو الفونولوجيا Phonologie دراسة الصوت في موقعه في الكلمة، و ما يحدث له من تغير في صفته العامة نتيجة لموقعه الجديد.

و من الأمثلة على ذلك: النون الساكنة في التجويد القرآني: حيث تخرج من مخرجها مظهرة (من الإظهار) من غير غنة إذا وقعت قبل أحد الحروف الحلقية: (الهمزة، و الهاء، و العين، و الحاء، و الغين، و الخاء) مثل:

(من آمن)، (منهم)، (من هاد)، (أنعمت)... إلخ.

و تدغم النون الساكنة مع الغنة إذا وقعت في آخر كلمة، ووقع في أول الكلمة الموالية أحد الأصوات الأربعة (الياء، و الواو، و النون و الميم) مثل: (من يقول)، (من وَّال)، (من نعمة)، (من قال الله)، و تدغم بغير غنة، إذا وقعت في آخر كلمة ووقع في أول الكلمة الموالية لام أو راء، مثل: (من لَدنه)، (من رَبِّهم)، و حيث تقلب (الإقلاب) هذه النون الساكنة ميمًا إذا وقعت قبل صوت الباء في كلمة واحدة نحو: (أنبئهم) أو في كلمتين، نحو: (أن م بورك)، و حيث تخفى

(الإخفاء) هذه النون الساكنة مع بقية الحروف (الأصوات)، نحو: (من ثمرة)، (لمن شاء)،
(من طيبات)... إلخ³¹.

فهذه أمثلة نموذجية على دراسة الصوت في موقعه، في القراءات القرآنية، و ما يطرأ عليه من تغير
نتيجة لهذا الموقع الجديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات إعداد و تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث المستوى: سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس السابع: الدراسة الصوتية لدى النحاة: ابن جني.

بعد الدراسة المفهومية و التاريخية و الوظيفية للدراسة الصوتية لدى علماء العربية، التي تولدت عنها أنماط الدراسة الصوتية لدى اللغويين في المعاجم، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي و أبو منصور الأزهري، ثم انعطفت لدى علماء القراءات و التجويد القرآني، و إلى جانب ما ذكرناه حول الخليل بن أحمد و سيبويه عن بعض الدراسات الفونولوجية في ترتيب المادة المعجمية ترتيبا صوتيا. نجد في القرن الرابع الهجري لغويا آخر فذا، حلق بعيدا في آفاق أرحب في مجال فقه اللغة بعامة و الأصوات اللغوية بخاصة، هو أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ). و يعد كتابه الموسوم بـ:

(سر صناعة الإعراب) من أدق و أوفى ما كتب في أصوات اللغة العربية، بما أضاف إلى ما قاله الخليل بن أحمد و سيبويه من زيادات و تفصيلات دقيقة، و تغييرات واضحة.

يعرض ابن جني في مقدمة كتابه هذا، خطته و منهجه، إذ يقول: "... أذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها و مدراجها و انقسام أصنافها، و أحكام مجهورها و مهموسها، و شديدها و رخوها، و صحيحها و معتلها، و مطبقها و منفتحها، و ساكنها و متحركها و مضغوطها و مستويها و منحرفها و مشربها، و مستويها و مكررها، و مستعليها و منخفضها، إلى غير ذلك من أجناسها. و أذكر فرق ما بين الحرف و الحركة، و أين محل الحركة من الحرف: هل هي قبله أم بعده ؟

و أذكر أيضا الحروف التي هي فروع مستحسنة، و الحروف التي هي فروع مستقبحة، و الحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، كتفرع الحروف عن الحروف... ثم أفرد فيما بعد لكل منها بابا أغترق فيه ذكر أحواله و تصرفه في الكلام، من أصليته و زيادته، و صحته و علتة، و قلبه إلى غيره، و قلب غيره إليه³².

1- ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/4.

❖ -معاني أحوال هذه الحروف:

-المنحرف: ما ينحرف اللسان أثناء النطق به، و هو اللام.

-الحروف المشربة، و هي ما تعرف بحرف القلقة في القراءات القرآنية مثل: (الباء، و الجيم، و الدال، و الطاء، و القاف)، و تحرك في حلة سكونها بحركة قصيرة جدًا.

-الصوت المستعلي: (و عكسه المنخفض أو المسفل) : و هو الذي يستعلي مؤخر اللسان عند النطق به و يشمل في اللغة العربية الأصوات: (الخاء، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الغين و القاف).

-الحروف التي هي فروع مستحسنة هي ستة أحرف تلحق الحروف التسعة و العشرين، و يؤخذ بها في القرآن الكريم و فصيح الكلام، و هي: النون الخفية و الهمزة المخففة، و ألف التفخيم، و ألف الإمالة، و الشين التي كالجيم، و الصاد التي كالزاي، و مختلف هذه الشروحات موجودة في كتاب "سر صناعة الإعراب " لابن جني ص: 51/1 فصل 7.

-و أما الحروف التي هي فروع مستقبحة هي ثمانية أحرف تلحق الحروف الخمسة و الثلاثين، و هي غير مستحسنة، و لا يؤخذ بها في القرآن و لا في الشعر، و لا توجد إلا في لغة ضعيفة، و هي: الكاف التي بين الجيم و الكاف، و الجيم التي كالكاف، و الجيم التي كالشين، و الضاد الضعيفة و الصاد التي كالسين، و الطاء التي كالتاء، و الظاء التي كالتاء، و الباء التي كالميم، و كل هذه الحروف الأربعة عشر نص ابن جني على أنها لا تعرف إلا بالسمع و المشافهة في كتاب سر صناعة الإعراب ص 1/4.

و في ضوء هذه المنظومة العلمية الصوتية، لم يطلق ابن جني على كتابه اسم " علم الأصوات "، يمكن على سبيل المقاربة المفهومية للدراسة الصوتية، أن يعد أول من استعمل اصطلاح " علم الأصوات "، حيث يقول بعد أن شرح كيفية صدور الصوت عن طريق تشبيهه الحلق بالناي: " و إنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة و التقريب، و إن لم يمكن هذا الفن (الموسيقي) يعني الصوت، ميمًا لنا و لا لهذا الكتاب به تعلق. و لكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني:

علم الأصوات و الحروف له تعلق و مشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات و النغم "33".
و من خلال هذه الآراء و الملاحظات الصوتية التي تضمنها كتاب " سر صناعة الإعراب " لابن
جنبي، ندرك أنه سابق لعصره، و ذلك:

1- أنه شبه الحلق بآلات الموسيقى (الناي أو صوت المزمار).

2- إتجاهه إلى التجارب الصوتية في كيفية صدور الصوت.

3- إتجاهه في كيفية اختيار جهره و همسه. و تفريقه بين الصوت و الحرف، و جعله الحركات أبعاضا
لحروف المد و اللين، و جعله الحركة بعد الحرف "34".

33

34

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات إعداد و تقديم الأستاذ: عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث المستوى: سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس الثامن (8): علم الأصوات لدى ابن سينا

و في القرن الخامس للهجرة، نجد عالما عربيا آخر، لا يقل أهمية في البصمة الإبداعية و العلمية المرتبطة بالدراسة الصوتية، عن سابقيه من علماء العربية القدماء كالخليل بن أحمد و سيبويه و ابن جني و حتى علماء القراءات، هو العالم الفيلسوف الطبيب ابن سينا (ت 428 هـ)، إذ يعالج أصوات اللغة علاج الطبيب العالم بالطبيعة، في بحث موجز له عنوانه " أسباب حدوث الحروف " ³⁵.
و يتألف هذا الكتاب من ستة فصول:

تناول في الأول و الثاني سبب حدوث الصوت، و في الثالث عالج فيه تشريح الحنجرة و اللسان، و تناول في الفصل الرابع الأصوات العربية، و كيفية صدور كل صوت منها: فوصف العملية العضلية مع كل صوت وصفا مفصلا، و رتب الحروف ترتيبا مخرجيا (مخارج أصوات الحروف) يشبه ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي، و في الفصل الخامس يعرض ابن سينا أصواتا سمعها من لغات أخرى غير العربية، و هي الجيم الفارسية في مثل: جاه (بئر) و السين الزائفة، و الزي السينية، و الزاي الظائفة، و الفاء الشبيهة بالباء (الفاء المهجورة) و الباء المهموسة. في حين نراه يحاول في الفصل السادس الربط بين أصوات اللغة و الأصوات الطبيعية الأخرى.

و لابن سينا دراسة صوتية أخرى في كتابه الكبير " الشفاء " حيث تناول فيه صفات الأصوات بشيء من الإسهاب.

و لاشك أن ابن سينا دراسته للأصوات اللغوية، تعد إضافة جديدة إلى ما سبق من دراسات صوتية عند العرب، " إذ تعتمد على الناحية التشريحية في الوصف Anatomique و تقابل بين الأصوات العربية و الأصوات الأخرى. و هذا ما يدل على أن هذا المنهج التقابلي **Méthode contrastive** كان معروفا عند العرب، و مثله ما صنعه أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) في كتابه الموسوم " الزينة في الكلمات الإسلامية و العربية " من المقابلة بين أصوات العربية و الفارسية³⁶ لقد كان القرن الخامس الهجري، يحمل إلينا رسالة صغيرة في الأصوات العربية، للرئيس ابن سينا فيلسوف الإسلام، واسمها: " أسباب حدوث الحروف " و هي مقسمة كما أشرنا آنفا على ستة فصول (6):

يمكن اختزال موضوعاتها Themes في الآتي:

- 1- في سبب حدوث الصوت، و يقصد به صوت الإنسان و غيره.
- 2- في سبب حدوث الحروف، و يقصد بالحروف الأصوات الإنسانية.
- 3- في تشريح الحنجرة و اللسان.
- 4- في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب.
- 5- في الحروف الشبيهة بهذه الحروف، وليست في لغة العرب.
- 6- أما الفصل السادس (6) فقد كان مدارا Topic في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تسمع.

و لعل حديث ابن سينا (استنتاج) في هذه الرسالة المقتضبة، أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء، فلا نكاد نلمح فيها أنه تأثر كغيره بكتاب سيوييه، فله عدته المصطلحية، و له وصفه الأصيل لكل صوت، مما جعله محل إعجاب و تقدير من بعض اللغويين المحدثين "37.

إعداد و تقديم الأستاذ:

عبد الرحيم عزاب.

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية الآداب و اللغات

جامعة العربي بن مهدي أم البواقي

قائمة مصادر الدروس و مراجعها:

- 1-علاء جبر محمد: المدارس الصوتية عند العرب.
- 2-مسعود بودوخة: محاضرات في الصوتيات.
- 3-محمود السعران: علم اللغة -مقدمة للقارئ العربي-.
- 4-لسان العرب: ابن منظور.
- 5-فتح الله سليمان: دراسات في علم اللغة.
- 6-عبد العزيز مطر: علم اللغة و فقه اللغة.
- 7-عبد الحميد أبو سكين: دراسات في التجويد و الأصوات اللغوية.
- 8-الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين.
- 9-رمضان عبد الثواب: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي.

- 10- تفسير ابن كثير.
- 11- تفسير ابن جرير الطبري.
- 12- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر
- 13- فتح الباري لأبي حجر العسقلاني.
- 14- كشف اصطلاحات الفنون: للتهانوي.
- 15- عبد الفاتح عبد العليم البركاوي: ترتيل القرآن في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة.
- 16- سر صناعة الإعراب: ابن جني.
- 17- إبراهيم أينس: الأصوات اللغوية.